٢ ر.س

دواء العشاق

عبدالكريم بن صالح الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين: أما بعد فهذه نبذة صغيرة كتبتها في هذا الموضوع لأهميته وعظيم خطره وشدة ضرره، لأنه يزاحم توحيد العبد الذي خلق لأجله. وقد لا يشعر الواقع فيه بما أصابه في أصل عبوديته وتوحيده، لاسيما إذا كان يؤدي شعائر الإسلام الظاهرة ولو عرف وأنصف، بل لو استقام على الحنيفية لعلم أن هذا الذي يفعله مع معشوقه من شدة الحب وطلب الرضا، واعتقاد حصول السرور والسعادة بذلك، أنه لا يليق ولا يصلح إلا لإله الحق الذي أوجده وأنعم عليه بما لا يحصيه فضلاً أن يشكره، وأجلُّ نعمه على العبد أن يوفقه لعبوديته التي أصلها محبته سبحانه وبحمده.

ولو أن للعاشق إحساساً سليماً ما سباه معشوقه لأنه بهذا الإحساس يُدرك عيوب المحبوب، ومع إدراكها لا يكـون العشق، ولـذلك يقول بعضهم: العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب.

والإنسـان مفطور على محبة إلهه الحق. والإله هو المألوه بالمحبة وغيرها من أنواع العبادة.

والنفس مريدة فهي متحركة بالإرادة تطلب مُراداً ومحبوباً تلتذ بحبه، فإما تستمر على استقامتها بمحبة فاطرها أو تفسد وتنحرف، ومن هنا يأتي حب غير الله بالعشق ونحوه.

ما هو العشق؟

قال ابن القيم رحمـه الله: «فـالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وَسْوَاسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشـمائـل. وسببـه النفسـاني الاستحسان والفكر. وسببه البدني ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ من مَنيٍّ محتقن. ولذلك أكثر ما يعتري العزاب. وكثرة الجماع تزيله بسرعة».

وقـال بعض الفـلاسفـة: العشق طمع يتولّد في القلب ويتحرك وينمو، ثم يتربى وتجتمع إليه مواد من الحـرص. وكـلما قوي ازداد صاحبـه في الاهتياج واللجاج، والتمادي في الطمع والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلـك إلى الغم والقلق، ويكون احتراق الـدم عنـد ذلـك باستحـالتـه إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليه. ومن غلبة السوداء يحصل له

فساد الفكر. ومع فساد الفكر يكون زوال العقل، ورجاء ما لا يكون، وتمني ما لا يتم حتى يؤدي إلى الجنون، فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غمًّا، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحاً، وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعاً وعشرين ساعة فيُظن أنه قد مات فيدفن وهو حي، وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور[1] قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت. وتراه إذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه.

وقال أفلاطون: العشق حركة النفس الفارغة. وقال أرسطاطاليس: العِشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب. ومن هذا أخذ جرير قوله:

فلست براءٍ عيبَ ذي الـودِّ كلَّه
ولا بعضَ ما فيه إذا كنت راضيا

(١) التامور: دم القلب. وقيل: كل دم.

فعينُ الرضا عن كل عيب كليلةٌ
ولكنّ عين السخط تُبدي المساويا

وقال أرسطو: العشق جهل عارض صادف قلباً فارغاً لا شغل له من تجارة ولا صناعة. وقال غيره: هو سوء اختيار صادف نفساً فارغة.

قال قيس بن الملوّح:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقال بعضهم: لم أرَ حقًّا أشبه بباطل ولا باطلاً أشبه بحق من العشق، هزلُه جدّ وجدّه هزل. وأوله لعب وآخره عطب[1].

(١) روضة المحبين ص١٣٧.

سبب العشق

سببه استحسان صورة من الصور فيميل بقلبه إليها، ويتعلق بها، فإذا طمع في وصالها تمكّن العشق من قلبه، ومن هنا يتبين سبب العشق وهو: استحسان المعشوق والطمع في الوصول إليه. هكذا قال العلماء.

استحسان المعشوق

من استحسان المعشوق يقوى الحب، وتشتد الرغبة والطلب، مما يستر على العاشق عيبه، كما يقال: الرغبات تستر العيوب. وقد تقدم ذكر عمى الحس الذي يمنع إدراك عيب المعشوق، وبصره هو الذي جنى عليه، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النظر سهم مسموم من سهام إبليس. ويقال: من أطلق نظراته دامت حسراته. وإطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور.

الطمع في الوصال

وهذا الأمر الثاني الذي معه يشتد العشق حيث تحدثه نفسه، وتطمعه أمانيه بوصل محبوبه كل بحسبه فتلازمه محبته وتشتد لذلك.

العشق داء

إذا عُلم أن العشق إنما يسكن القلوب الفارغة من محبة محبوبها الحق سبحانه، وأنه ينشأ من الاستحسان والطمع في الوصال ظهر أنه داء، وكما قد تبين من وصفه في الكلام السابق، لكن ليس هو كالأدواء لأنه يصيب جذر القلب وأصله لا حَواشيه وأطرافه، فهو داء عضال يصرف العبد عن المحبة التي خُلق من أجلها إلى محبة هي أضر شيء عليه.

مقويات أسباب العشق

أولاً: ضعف الإيمان وغربة الدين. فمع ضعف الإيمان تقوى الشرور من العشق وغيره، ولذلك لا يوجد إلا نادراً في الأوقات التي يقوى فيها أثر الدين لأن الدين عصمة من هذا المرض، فلا يتمكن من قلب المؤمن، وكيف يتمكن منه وفيه محبة مولاه الحق.

وقد أصبح الدين اليوم في غربة لا تحتاج إلى كلام فهذا أوضح وأظهر من أن يذكر، ولست أعني بالدين الدين المتناسب مع الوقت المتكيف مع الزمن، فهذا قد يكون له جهام اليوم، وإنما أعني ما كان عليه السلف علماً وعملاً، هذا هو الغريب والمقصود ذكر العشق فضعف الإيمان مما يقوي هذا البلاء.

الثاني: الغناء وهو من الأسباب التي تجعل العشق يتمكن من القلب، وقد بلغ أمر الغناء في زماننا مبلغاً لا يقاس به ما كان في الماضي، ولا نسبة له معه، حيث

توافرت أسبابه من جميع الوجوه، وصار مُهَيأ لكل أحد مع التفنّن فيه، وفي آلات الموسيقى المصاحبة له.

وهو يُسكر الروح، والسكر لذة ينغمر معها العقل فتظهر الكوامن وتهيج الطباع الحيوانية، فيتمكن الشيطان في هذه الأحوال من الإنسان، وينقش في قلبه صورة معشوقه على غير ما هو عليه، فيعكف القلب عليها عكوف العابد على معبوده والمتألِّه على إلهه ويوحي إليه الشيطان أن لا حياة لك ولا راحة ولا سعادة إلا بوصل هذا المحبوب، وكيف تعيش بدونه وقد سلب قلبك ولبك، فيتغنى ويتمنى ويهيم في أودية الغي والضلال. غافلاً عن محبوبه الحق ذي العزة والجلال والكمال والجمال. راكباً مركب الأماني والخيال. يجري به في بحر الجنون والخبال. لا ساحل لهذا البحر يرجى لراكبه وصوله. تغشاه الظلمات وتحيط به الآفات المهُولة.

كما يقال:

تولّـع بالـعـشـق حتى عشق
فلما اسـتـقـل به لم يُطِقْ
رأى لُجَّةً ظنّهـا مَوجـة
فلما تمكّـن منهـا غرِقْ

ينسى ربه فلا يذكره إن ذكره إلا بلسانه، ولا يعمل له إن عمـل إلا بجـوارحـه، وقلبه ولبه مع محبوبه. وبعضهم لا يذكـر ربـه ولا بلسانه ولا يعمل له ولا بجوارحه، وإنما يُصرح أنه عبْد لمحبوبه قد تيّمه حبه يعني عبَّده له.

الثالث: الصور: فتنة الصور عظيمة خادعة وقد توافـرت وكثرت في هذا الزمان بصورة مخيفة، ولو لم يكن لنا من الذنوب إلا الصور لكفى بها. وكما يقال في الغناء من جهة التفنن فيه في هذا الزمان، فكذلك الصـور مما لا يخفى حيث صار فيهـا من الإغـراء والتهييج ما يجعلها من عظيم الفتن.

الرابع: الفراغ: ومن أسباب تمكنه أيضاً الفراغ. وهذا حاصل في وقتنا أعظم من غيره، فما كان الشباب في الماضي على هذه الصفة ولا قريب منها. كانوا مع آبـائهم يعينـونهم في أمـور معايشهم، على غير هذه الـطرق المستحـدثـة التي قصّرت أوقـات الأعـمال، وقللت عمل القوى البشرية المبذولة فيها، وإن كان هذا كله على حساب الدين، وحتى على حساب تحوّل الإنسان من رزانته وسمته[1] الصالح ومروءته وسكينته ووقاره إلى ما آلت إليه الحال مما يعلمه أهل البصائر. لكن هؤلاء في المقـابـر. وقـد كان الناس في الماضي قريبي الشبـه من هَدْيِ نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه والآن يعلمون مَنْ يشبهون.

وليس هذا موضـوع البحث وإنـما المراد أن هذا الفراغ سبب كبير لتمكن هذا الداء.

---

(١) السمت: الهَدْي.

وقد كان الشباب في الماضي يطلبون العلم على غير هذه الصورة والطريقة الحديثة، التي فتحت عليهم أبواباً كانت مغلقة، وكوّنت لهم نظرة للحياة غير نظرة أسلافهم.

الخامس: التنعّم والرفاهية: وقد توافر ذلك أيضاً في زماننا حتى استوى الناس في هذا الأمر، ولم يعد هناك فارق كبير بين الغني والفقير فترى الجواري والأولاد من سائر الناس كأنهم أولاد ملوك في لباسهم وزيّهم وهيئتهم، مما يعين على تمكن هذا الداء من الطرفين.

ولم تكن هيئة الشباب والجواري والنساء في الماضي كما نرى اليوم، بل هناك فرق ظاهر كبير، يعرف هذا جيداً من خبر الحال الأولى وحال اليوم. لا من جهة النضارة واللباس، ولا من جهة الرزانة والسمت الصالح والحياء والعفة، ولا من جهة حركات المشي والكلام، وغير ذلك خصال كثيرة تغيرت بصورة

واضحة، فهذا كله مما يزيد داعية الفتنة بالعشق.

كانت المرأة في الماضي إذا خرجت من بيتها لِما لابد منه في الغالب تخرج في ثياب ساترة لجميع بدنها، كما أن الثياب نفسها لا تلفت النظر بجمالها وألوانها ونعومتها وشكلها. وكذلك البنات الصغار لا يعرفن هذه الملابس الفاتنة المغرية، وكان الحياء ظاهرة لا تُفتقد من البنات، وكذلك الصبيان والشباب. وكان الجميع يوقرون والديهم ويحترمونهم ويتأدبون معهم، وكذلك يوقرون الرجال ويستحيون منهم، وغير ذلك كثير قد تغير وتبدل ولكن الحال كما يقال: «لا يُشعر ثائهٌ بمصابه» والمال كَثُر بين يدي الناس فسلّطوه على رفاهياتهم وترفهم، وما كانت الأموال في الماضي هكذا ولا قريب منه، وما حصل هذا إلا لِرقة الدين، وما كان الناس يأخذون المال من أي وجه بل كانوا يصبرون على نقص دنياهم لصلاح دينهم.

والأغنياء قليل وغناهم محدود لا يستعملون أموالهم

بالـرفـاهيات مثـل اليوم إلا نادرا، وليست كهـذه الـرفـاهيات، فلم تكن توجد هذه الأمور كلها التي نراهـا في وقتهم، وإن من العصمـة ألا تجد فقد عافاهم الله من ذلك.

قد يقـال: كثير من النـاس اليوم فقـراء. وهذا صحـيح لكـن رغم ذلـك فهم يُجارون الأغنياء في غنـاهم، ويأخـذون المـال من كل وجـه لأجل هذا الغرض، فقلّما تجد اليوم مَن همته في معيشته الأمور الضرورية بحيث يضع الدنيا موضعها، كما وضعها الله ورسوله أو قريباً من موضعها.

بعض أضرار العشق

من أضراره انصراف القلب عما خلق له، وانشغاله في ما يضره في الدنيا والآخرة، ولذلك تجد العاشق في عذاب في الوصال والهجران. فإن قيل: العذاب في الهجران ظاهر. فكيف يكون العذاب في الوصال وهو غاية ما يتمناه المحب ويطلبه، بل يرى أنه لا شفاء لقلبه ولا أنس له ولا فرح إلا بوصل محبوبه، مع أنه يجد لذة عظيمة في ذلك؟

فالجواب أن الألم والعذاب حاصل له لكن هو لاهٍ عنـه لا يحس به لتلذذه بوصـل محبوبه، كمن يأكل طعـامـاً شهيًّا مسموما، ولو انكشفت له الأمور على حقيقتهـا لصـاح مما يُعـانيه ويقـاسيه من الألم وهذا العذاب، والألم الشديد جاء لأن هذا الحب خلاف الخلقـة والفـطرة. فبما أن القلب مفـطور على محبـة خالقـه، فحتـماً يتـألم بالعشق الذي هو شدة المحبة

لغيره، فهو مريض منحرف عن صحته واستقامته، متألم أشد مما تتألم العين إذا فقدت إبصارها، والأذن حين تفقد سمعها، واللسان بعجزه عن النطق، وبقية الأعضاء بفقد وظائفها وعملها الذي خُلقت له. ومعلوم أن القلب هو ملك هذه الأعضاء فألمه بفساده وانحرافه عما خُلق له أعظم من ألمها بفقد وظائفها، ولأن صورة المعشوق ترتسم في القلب فيعكف عليها. ومن هنا يشتد ألمه حيث تصير هذه الصورة حجاباً يحجبه عن محبوبه الحق، وهذا من أعظم الحجب والعياذ بالله. ولذلك تجد العاشق يذكر معشوقه أعظم من ذكره لربه، ويتفكر فيه وينشغل به بكل قلبه أعظم مما يفعله مع ربه. وقد ينسى طلب رضا ربه بجانب طلبه رضا معشوقه، وهذا وأعظم منه يعرفه من وقع في هذه الشباك أو علم حكايات العشاق.

نهاية كثير من العشاق

لقد كانت نهاية كثير من العشاق تبلبل الفكر والوساوس، وبعضهم يفضي به إلى الجنون، ومنهم من قتله العشق، ومنهم من قتل معشوقه، ومنهم من يُدمن على المسكر، وغير ذلك من العواقب الوخيمة والآثار السيئة التي تكون نتيجة حتمية لهذا الداء، إن لم يتدارك الله العبد بلطفه فيبادر إلى توبة صادقة بالرجوع إلى مولاه الحق.

دواء العشق

تقدم ذكر سببه وأنه استحسان المعشوق والطمع في وصاله، فدواؤه بنقض هذا البناء المؤسس على غير التقوى بل على الغي واتباع الهوى.

فالاستحسان إنما حصل لغلبة الهوى وطغيان الرغبة وشدتها، وهذا يعمي عين البصيرة، فيرى الإنسان الأشياء على غير ماهي عليه في الحقيقة والواقع. وإن كان البصر سليماً، فليس الشأن ببصر الرأس وإنما الشأن ببصر القلب.

وقد وصف الله عز وجل قوم لوط بالعَمَه وهو عمى البصيرة فقال تعالى: ﴿**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾[1]

(١) الحجر (٧٢).

فهذا الاستحسان مع النظر الصائب يزول أو يخف ولابد، فالإنسان مهما بلغ من الجمال فحاله الحاضرة ونهايته وما يعرض له تمنع استيلاء محبته على القلب.

والتفكر في ذلك دواء مضمون إن شاء الله، وهو سهل كل يقدر عليه مع الصدق في التوبة وخوف الله عز وجل.

ولذلك يوصف الإنسان بأن بدايته نطفة مَذِرَه ونهايته جيفة قذرة، وفيما بين ذلك يحمل العذرة.

وقال الحسن رحمه الله: عجباً لابن آدم يغسل الخرء بيده مرتين في اليوم، ثم هو يتكبر يعارض جبار السموات والأرض.

فكيف يتعبد قلب من هو محشو بالأنجاس لولا الشلل الفكري الذي يحصل لمتبع هواه، والقصور العقلي الذي جعله يغتر وينخدع في ظواهر ليس وراءها شيء.

ولـذلـك يقـول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أعجبت أحدكم امرأة فليتذكر مناتنها».

تأمل فقه الصحابة رضي الله عنهم، وكيف ينزلون الأشياء منازلها ويضعونها مواضعها، وانظر ما حصل في آخـر الأمـة من جعـل المعشوق إلها من دون الله فبعضهم يُصرِّح أنه عبد لمحبوبه، وغير ذلك مما ينادي به أهل الغناء اليوم.

وليعلم المبتـلى أنـما جنى عليه بصره، فمبـدأ الحـوادث كلهـا منه، أما الطمع في وصال المعشوق فيقـطعه أو يضعفه التفكر في عذاب الله عز وجل، وسخطه وأليم عقابه، وتذكر ما فعل بمن عصاه واتبع هواه من الأمم الماضية. كذلك ما يحصل في الدنيا من الفضائح والعقوبات، وأنه في ذلك متبع لهواه مطيع لشيطانه.

وهذا الذي ذكرته إنما هو في عشق ما لا يحل وطلب

وصله من النساء والمردان، لكن قد يحب الرجل امرأة ويريد التزوج بها فلا يدخل هذا فيما ذكرت، إلا إذا زادت هذه المحبـة عن الحد، أو إذا عمل معها من النظر والخلوة وغير ذلك مما هو ممنوع في الشرع فهذا داخل في هذه الفتنة.

عواقب طغيان المحبة المذمومة

إن الملاحظ في هذا الزمان الذي طغى فيه أمر الحب حتى العبادة انهيار العقل واختلاله لاصطدامه بالواقع الذي يفضح ذلك الخيال ويمزق نسجه.

فالواقع والحقيقة التي عليها البشر غير الخيال الذي ينسجه الفكر السطحي المشلول للعاشق المحب.

فبعضهم يمل معشوقه ويمقته من أول لقاء، ويكون قد ذابت نفسه وكادت تتلف بحبه، وذلك لمفاجأته بعيوب البشر ونقص البشر، فيخر من علواء الخيال إلى أرض الحقيقة، وتكون النتيجة ما يُسمونه بالعقد النفسية وغيرها من العلل النفسانية، فإن الأصول إذا كانت فاسدة لا يتفرع منها إلا الفساد.

المحبة الحقيقية

إذا عُلم ما تقدم فالمحبة الحقيقية هي محبة الله عز وجل، وهي لب عبوديته، حيث أن أركان العبودية ثلاثة: الحب والخوف والرجاء.

والخوف إنما هو أن تفوت العبد هذه المحبة، أو يكون حظه منها ناقصاً أو معدوماً، فيحصل الشقاء والعذاب.

والرجاء أن تحصل له هذه المحبة التي بحصولها تكون سعادته في الدنيا والآخرة، فانظر كيف انتهى الأمر إلى المحبة.

وفي الجنة يذهب الخوف ويزول لزوال موجبه وهو سخط الله وخوف عقابه لذلك يقولون: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» والرجاء يتحقق بكماله بدخول الجنة. فقد تبين أن المدار كله على المحبة وأنها الأصل.

القلب السليم

القلب السليم معافى من هذا الداء سالم من هذا البلاء فهو صحيح مستقيم. أما صحته فلبقائه على الخلقة الأصلية وهو الفطرة، وهي محبة خالقه وطلبه وإرادته ولا شيء أعظم له ملاءمة من محبة فاطره.

وأما استقامته فلأنه لأجل هذا خُلق فلم يَمِل عنه يُمنة ولا يسرة، وتأمل هذا الكلام لابن القيم رحمه الله:

«يا من هو من أربـاب الخبرة هل عرفت قيمة نفسك؟ إنما خُلقت الأكوان كلها لك. يا من غُذِّي بلبان البر وقُلِّب بأيدي الألطاف كل الأشياء شجرة وأنت الثمرة، وصورة وأنت المعنى، وصدف وأنت الدر ومخيص وأنت الزبد.

منشور اختيارنا لك واضح الخط. ولكن استخراجك ضعيف متى رُمت طلبي فاطلبني عندك.

ويحك لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي. إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك فواعجباً كيف صالحته وتركتنا ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً**﴾ الكهف (٥٠).

معرفة الله توجب محبته وتعلق القلب به

إنما تكون المحبة على قدر المعرفة كذلك الخوف والرجاء فمن عرف الله أحبه لكن يتفاوت الخلق في هذه المعرفة تفاوتاً عظيماً، فمن الناس من لا يعرف الله إلا باسمه، ومنهم من يعرفه بأنه خالقه ورازقه ويعبده على هذا المقتضى، ويعرف أيضاً أن عنده جنة وناراً، وأن في الجنة أكل وشرب وأزواج، وغير ذلك من النعيم، فهو يسأله رزقه ونصره في الدنيا ويسأله الجنة، ويستعيذ به من النار، لكن معرفته بالله ناقصة قاصرة. وهذا يعلم أن الله سميع عليم وعلى كل شيء قدير، وغير ذلك من الصفات، ومع هذا فعبوديته مقصورة على حظوظ نفسه وما يريده من ربه.

أما معرفة الرب عز وجل المعرفة الخاصة التي توجب تعلق القلب به دون ما سواه وإرادة وجهه

الكريم، فهذا لا يحصل لعموم أهل الإسلام لا سيما اليوم، حيث كثرت القواطع والموانع مثل موضوع بحثنا هذا، ومثل محبة الدنيا، ومثل استعمال الآلة الموصلة لهذه الغاية وهي العلم في الغايات السفلية من طلب المال والرئاسة ونحو ذلك، فهذه القواطع وغيرها تعوق عن الوصول إلى هذا المشرب الذي كانت حوله تحوم همم الصادقين، ومن أجله عمل العاملون وتنافس المتنافسون.

وهو على الحقيقة لب العبودية لأن الرب محبوب بذاته، ليس فقط لأنه خلقنا ويرزقنا وعنده جنة ونار وإنما لما يتصف به من صفات الجلال والجمال والكمال فهو الإله الحق والإله هو المألوه بالعبادة محبة وإجلالاً وتعظيماً، وغير ذلك من أنواع العبودية.

ويكفي أن تعلم أن أعلى نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله عز وجل، حتى أن رؤيته أحب إليهم من نعيم الجنة المخلوق فهم يتلذذون ويتنعمون بالنظر

إليه سبحانه أعظم من لذتهم وتنعمهم بالنعيم المخلوق في الجنة من الحور وغيرها.

فالتفكر في هذا يفتح باب المعرفة الخاصة بالله، إذ لو يوصف مكان هو في الغاية من الحسن والجمال والكمال، وفيه من الصور الجميلة ما يسبي العقول، ومن أنواع اللذات مالا يخطر على البال ولا يدور في الخيال. وسكان هذا المكان يتمتعون بكل ما فيه على أكمل الوجوه، ثم إنهم مع هذا يرون ما يلهيهم عن هذا النعيم ويصرف قلوبهم عنه، مما هو أجمل منه وأكمل حتى يتمنون أن يدوم لهم هذا ولا يعودون إلى نعيمهم الأول الذي كانوا فيه متنعمين.

فهذا تقريب وإلا فالأمر أجل وأكبر.[1]

---

(١) قال بعض أهل العلم: إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم «اخرج عليهن» استغرقت إحساس الناظرات فقطّعن أيديهن وما شعرن فكيف بالحال يوم المزيد.

وأنا كتبت في هذا الموضوع لعلمي بالواقع المرّ الذي يعانيه ويقاسيه كثير من شباب اليوم والبنات أيضاً. وإلا فالكلام في محبة الله عز وجل مما لا يليق بنا، إنما الذي يناسبنا هو الخوف والخشية، كما يقول أهل المعرفة:

فالخوف أولى بالمسيء إذا تألّه والحزن والحب يجمل بالتُقاء وبالنَّقاء من الدّرن

وسبق وكتبت حول هذا الموضوع في نسخة صغيرة مطبوعة اسمها «عوائق في طريق العبودية».

عبدالكريم بن صالح الحميد
١٤١٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

موجبات السخط والعذاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإنه لاشك أن من موجبات سخط الله عز وجل، وحلول عذابه، انتهاك حرماته وتضييع أوامره، وما عُذّبت الأمم قبلنا إلا بسبب ذلك، وقد قصّ الله علينا سيَرهم لنعلم بِم أغضبوه حتى عذبهم. والمراد من هذا أن نحذر ما وقعوا فيه ونجتنبه لئلا يحل بنا ما حل بهم، فليس بيننا وبينه نسب ولا وسيلة تدفع عنا غضبه ونقمته إلا أن يرحمنا، ورحمته لنا أن نعمل بأمره ونجتنب نهيه وسعادتنا كلها في هذا.

وقد ورد أن هذه الأمة تفعل ما فعلت الأمم قبلها وتزيد عليها. وتعداد الفواحش والمنكرات يطول جدا

لكن فاحشة اللواط من أقبحها وأعظمها ضرراً، ولذلك لم يذكر الله قوم لوط إلا بهذه الفاحشة، وقد عذبهم في الدنيا بأشد العذاب، ولم يذكر أنهم مشركون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة ولم يُذكروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم. وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين وإنما ذنبهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك وكانت عقوبتهم أشد، إذ ليس في ذلك تديّن بل شر يعلمون أنه شر. انتهى من النبوات ص٥٧».

قوله إذ ليس في ذلك تدين بل شر يعلمون أنه شر يعني أن المشركين إنما يتخذون ما يعبدون من دون الله وسائط تقربهم إلى الله، كما ذكر عز وجل عنهم أنهم يقولون عن آلهتهم: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ فهم إنما يشركون تديّنا واللوطية ليس لهم شبهة في فعلهم، وإنما هو شر يعلمون أنه شر. وقد

ورد الوعيد الشديد لفاعل اللواط والمفعول به مما لا يخفى.

وهـذه الفاحشة تنفر منها الطباع السليمة، وإنما يستحسنها من انحرفت طباعه، ولذلك قال عبدالملك بن مروان: لولا أن الله ذكر آل لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعل هذا.

وقـال ابن القيم رحمـه الله: «العـارُ الذي يلحق المفعول به لا يمكن تلافيه وهو شر مما يحصل له بالقتل أو منع الطعام والشراب حتى يموت، فإن هذا فساد في نفسـه وعقله وقلبه ودينه وعرضه. ونطفة اللوطي مسمـومـة تسري في الروح والقلب فتفسدهما فساداً عظيماً قلّ أن يرجى معه صلاح.

وهـذه قصيدة تبـين قبـح هذه الفاحشة وبعدها قصيدة في وصف النار والتحذير منها:

خبث اللواط من المعلوم بالفِطر
لو لم يَرد فيه نهي الله والـنـذرِ
أهـل اللواط إذا تطلب لهم شَبهٌ
فحـالـة الجُعـلِ قد تُنبيك بالخـبر
قُـبح اللواط من الممقـوت بالنظر
لكن عين الهوى تعمى عن النظر
وواضـع السيف في غُمد مُلطّخة
بالـطين يعلمُ ما يغشـاهُ من أثـر
كيف الذي يُغمد البتّار في وضَرٍ[٢]
كيف الـذي يغمد البتار في القَذر
زنـاد فكـرك اقْـدحهـا ترى عجباً
ولا تكن غافـلاً عن واعظ العِـبَر
وصـلُ الحـبيب له طيبٌ يُزَيِّنـه
وطِـيب وصـلك معـلومٌ بلا خبَر

(١) النذر: الرسل.
(٢) الوضر: الوسخ.

يا عاشق المُرْدِ قد أعماكَ عشقهمو
انـظر بقلبـك قد تغـتَّر بالبصر
يا عاشق المرد هل تخفاكَ حالهمو
هم الـرجالُ غدًا فاستعمل الفِكَر
هذا بعـقـلك تَدريه وتـعـلَمُـه
وكيف تَذهـلُ عمَّا جاءَ في السُّوَر
قلب الـدِّيار مع الأحجار يُرسلها
رب العبـادِ على من جاءَ بالنُّكُرِ
يومُ القيامـةِ اسْتشْعِر فضـائحـهُ
أين الأمـانُ لِمَغْـرُور من السُّعُـر[1]
يومٌ تشيبُ به الـولـدانُ مِن فَزَعٍ
وَتَـزْفـرُ النـارُ بالـدُّخـان والشَّرر
وحـاذر اللحظَ فالأبـوابُ مُغْلَقـة
ما دامَ طرفـكَ محفـوظاً من النظر

(١) السعر جمع سعير.

قد قيلَ فيما مَضـى قولٌ به حِكَمٌ
اعمـل بها واتَّعظ تنجو من الخطر
(كـل الحـوادث مبدأها من النظر
ومعـظم النار من مُستصْغَر الشرر
والمـرءُ ما دام ذا طَرْفٍ يُقـلِّبُـه
في أعـين الغَير مَوقوفٌ على الخطر
يُسرُّ مُقـلتَـه ما ضَرَّ مُهْـجَتَـه
لا مرحـبـاً بسرورٍ عادَ بالضَّرر
كَمْ نظرةٍ فعلتْ في قلب صاحبها
فعـلَ السِّهـام بلا قوسٍ ولا وَتر)
وأنت يا مَن يرى الأبصـار ترمقـهُ
عليه عاكـفـةٌ بالـلحظ والـنـظر
لا تُخْدعـنَّ بحسْنٍ سوف تُسْلبـهُ
إمـا بداهـيةٍ تدهـاكَ أو كِبَر
يا لذّة ذهـبـت يا حسْرةً بقـيتْ
والله مُطّلع بالـسَّـمـع والـبصر

سارِعْ إلى توبـةٍ تُنْجي من الخطر
وداوِمِ الـذِّكـر في الأصـال والبُكَر
وانــدمْ على زمنٍ مَرَّت ركــائبُــه
صحــائفُ طُويت مُســودّة الأثـر
وعـلِّق الـقلبَ في حُبٍّ خُلِقْت له
دُون الـرَّذائـلِ والأنجاسِ والقَذِر
قد هيأوك لأمــرٍ لو فطنــتَ لَه
فارْبَأ بنفسكَ أن ترعى مَع (الحُمُر)[1]
هُيِّئتَ للرَّوْحِ والــريحـانِ والنـظرِ
في جنـةِ الخلد والروضاتِ والسُّرر
خيامهــا لؤلؤٌ يا حُسْنَ منـظرهـا
قصـورهـا شُيِّدت بالمسْكِ والدُّرَر
إن تعشق الحـورَ فالـرحمن أبدعها
والوصفُ عندكَ في الآيات والسُّور

(١) الأصل: اهمل.

قصيدة في التحذير من النار

وإن تكن عارفـاً أوصـافُ مُبْدِعها
طلبـتَ حظَّك لا تَلوي على أثَــر
أعـطى الجمالَ لِتَعرف منْه صانِعَهُ
الــربُّ أولى بِهِ مِنْ سائــر الـبشر
أعـطى الجمالَ ابتلاءً هَلْ سَتعْبُده
أو تعْبُـد الصـورةَ الحسْنَـاء بالنظر
اختر لِنفسك ما ترضى من الصُّور
أنتَ المعــذَّب بالأحـزانِ والكَـدَر
ما دُون ربــكَ محبــوبٌ به طمـعٌ
يا سَوْأةَ الحالِ بَل يا ضَيْعَة العُمُر
يوم المــزيد هو الميعــادُ فاسْـعَ لهُ
قد تُدْرِكُ الرَّكْبَ مَعْ ما فيكَ مِن ضَرَر
هنـالـك الأنْسُ والأفـراحُ دائمـةٌ
وطـالِـعُ السَّعـدِ مأمُـونٌ من الغِيَرِ

بَرِحَ الخفـاءُ ومـا أظنـك عاقـلاً
لو كنـت تعـقـل صار أمـر ثاني
يا ساهـياً والـقـلب لاهٍ غافـل
ما هذه أخـلاق ذو الـعـرفـان
يا وارداً للنـار ليس بعـالم
هل سوف ينجـو أم يظل يعـاني
ألم الحـريق ولـيس يشبـه هذه
الآلام في الـدنـيا ولـيس يداني
سبعـون ضعفـاً حرهـا عن هذه
ما حال من يبـقـى بها أزمـان
من ذا يطيق الشمس في حر الضحى
كيف الجـحيم نعـوذ بالـرحمن
يا ليت أمـي لم تلدني ليتـني
ما كنت يومـاً من بني الإنسـان
لو شاهـدت عيناك مِنْ بُعْدٍ لظى
لظننت قلبـك طار من خفقـان

وجثـوت تبكي حائـرًا متـولِّهـا
مِن شدة الهـول العـظيم الشـأن
كادت تميّز من صرامـة غيظهـا
والصـوت كالـرعـد الثقيل الداني
سبعـون ألفـاً من ملائـك ربنـا
قادوا زمـامـاً واحـداً فرداني
ولهـا بِعـدَّتهـم كذاك أزمـة
هذي المـقـاودُ كيف بالجثـمان
يجثـو الخليل لروعـة وهـو الـذي
عَبَـدَ الإلـه بغـاية الإحسـان
ألـقـى بنـار لم يسعـر مثلهـا
وفـدى بنسـك ليس كالقـربـان
وابن البتـول يقـول إني ذاهـلٌ
عمَّن سواي وقـد شغلتُ بشـأني
يا رب لست بسـائـل أمي التي
ولَـدَتْ وَرَبَّتْ والفتـون تعـاني

كيف النجاة ويالها من شِدَّةٍ
مِنها تشيبُ نواصيَ الولدان

المحتويات

مقدمة ٥
ماهو العشق؟ ٧
سبب العشق ١٠
استحسان المعشوق ١٠
الطمع في الوصال ١١
العشق داء ١١
مقويات أسباب العشق ١٢
بعض أضرار العشق ١٩
نهاية كثير من العشاق ٢١
دواء العشق ٢٢
عواقب طغيان المحبة المذمومة ٢٦
المحبة الحقيقية ٢٧
القلب السليم ٢٨
معرفة الله توجب محبته وتعلق القلب به ٣٠
موجبات السخط والعذاب ٣٤